

والنصرة، ويدل على ذلك قوله تعالى بعد الآية المتقدمة "إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون، فقد صرحت هذه الآية بأن المنهي عنه - في شأن هؤلاء - هو اتخذهم أولياء، لا مجرد البريهم، والقسط إليهم .

العداوات ليست دائمة:

وقبل هاتين الآيتين يقول جل شأنه: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم" وفي هذا إحياء بأن العداوات ليست دائمة، وأن القلوب تتغير وتتحول، وأن الرفق والإحسان قد يكونان سبيلاً إلى إصلاح النفوس، وتقرب القلوب، وقد حدث فعلاً في تاريخ المسلمين أن كثيراً ممن كانوا أعداء لهم، وحرباً عليهم قد أسلموا وحسن إسلامهم، وأبلى، في الدفاع عن الدين بلاء حسناً، فالله تعالى لا يرضى بأن يتخذ المؤمن مخالفه في الدين ولياً ومناصراً، ولكنه مع ذلك يعطي هذا المخالف حقه في علاقات المعاشرة والمواطنة التي تقوم على البر والرحمة والقسط، وكلا الأمرين هو غاية الحكمة والدستور الطبيعي للإنسانية في كمال وعيها، وكمال رقيها وسموها .

استطراد للعبارة: المسلمون أولي بالبر والقسط فيما بينهم:

ويحسن بنا أن نقف هنا وقفة يسيرة مستطردين إلى معنيي يهمننا في هذا المقام فنقول: إذا كانت سماحة الإسلام قد وصلت إلى حد أن أباحت للمسلمين البر بأعدائهم ومخالفهم في الدين، وأن يقسطوا إليهم،

ويعدلوا في شئونهم، وإذا كان القرآن الكريم قد نهى المؤمنين عن ملاحظة عوامل الشان في معاملهم لأعدائهم وقال لهم: "ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" ثم قال لهم: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى"; أفلا يذكر المسلمون أن علاقتهم فيما بينهم أولى بهذه السماحة، وأجدر بأن تبني على أساس البر والرحمة والقسط، فلا تحملهم النزعات الطائفية أو المذهبية أو المذهبية على تناسي ما بينهم من أخوة الإسلام، والتراحم الذي لم يحرم القرآن منه حتى أعداء الإسلام؟